الاندلس

« عبرة وذكرى »

— ٢ —

(٢) — الحكم الأموي :

يقسم الحكم الأموي في الاندلس الى ثلاثة عهود : الولاية — الامارة — الخلافة .

الولاية الأموية : بدأت بالفتح سنة ٩٢ — ٩٣ وانتهت بامارة عبدالرحمن الداخل سنة ١٣٨ . واول وال عليها عبدالعزيز ، وليها لابيه موسى بن نصير على ماتقدم ذكره ، فثار به العسكر وقتلوه لسنتين من ولايته .

وتتابعت ولاة الأمويين عليها تارة من قبل الخليفة بدمشق ، وطوراً من قبل عامله على القيروان . وكان مقتل الوالي الاول فتح باب اللدد على مصراعيه ، فظلت هذه الولاية ومدتها ست واربعون سنة وبضعة ايام ، مضطرباً للنزاع والصدام ، قل ان استقام فيها لوال امر ، اوطال له حكم ، حتى نيف عدد الولاة في هذه الفترة من الزمن على بضعة وعشرين والياً [1] .

---

(١) وهذه اسماؤهم مع اختلاف يسير في ترتيبهم :

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
عبد العزيز بن موسى	٩٥	٩٧	سنتان
ايوب بن حبيب اللخمي	٩٧		ستة اشهر
الحر بن عبد الرحمن بن عثمان		١٠٠	سنتان وثمانية اشهر
السمح بن مالك الخولاني	١٠٠	١٠٢	
الغمر بن عبدالرحمن بن عبدالله ؟			من قبل اهلها
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي			
عنبسة بن سحيم	١٠٣	١٠٧	اربع سنين واربعة اشهر (من قبل يزيد ابن ابي مسلم عامل افريقية)
عذرة بن عبد الله الفهري			

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والسبب في ذلك مطامع الرؤساء، وتضارب الاهواء، ونزعة العرب الى العصبية الجاهلية الاولى. فقامت القيسية واليمنية تتنازعان السلطان — والقيسية واليمنية حزبان كان لهما في تاريخنا الى اجل غير بعيد شأن خطير.

كان عامل الاندلس منقطعاً به في اقصى ثغور المسلمين، بعيداً عن قلب الدولة ومادتها، فكان لا بد له من عصبة تؤيده في ولايته، وتحتفظ له بها، ولا تكون هذه العصبة مخلصة ثابتة، الا اذا كانت منه، وكان منها في عصبية واحدة. ففزع كل والٍ من ولاة هذا العهد الى عصبية، القيسي الى المضربة، واليماني الى اليمنية. والعصبية

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
يحيى بن سلمة الكلبي	١٠٧	١١٠	سنتان وستة اشهر (من قبل بشر بن صفوان الكلبي عامل افريقية)
عثمان بن ابي نسعة الخثعمي اللخمي	١١٠	١١٠	خمسة اشهر (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
حذيفة بن الاخوص القيسي	١١٠	١١١	سنة (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
الهيثم بن عبيد الكلابي	١١١	١١٣	سنتان (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
محمد بن عبد الله الأشجعي	١١٣	١١٣	شهران
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	١١٣	١١٤	سنة وثمانية اشهر (من قبل عبيد الله ابن الحجاب صاحب افريقية)
عبد الملك بن قطن الفهري	١١٤	١١٦	سنتان (من قبل عبيدالله بن الحجاب صاحب افريقية)
عقبة بن الحجاج السلولي	١١٦	١٢١	خمس سنين (من قبل عبد الله بن الحجاب صاحب افريقية)
عبد الملك بن قطن الفهري	١٢١	١٢٤	(من قبل نفسه ثائراً)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقتضي الرجل ان ينصر اخاه ظالماً او مظلوماً ، فخرج الوالي عن ان يكون حاكماً عاماً ، وأصبح زعيم عصبية ، يتصحب لذويه ، ويتحامل على اعدائهم . فكان من جراء ذلك ان انشقت الجماعة ، وهاجت الأحقاد ، وتقدمت الناس باحزابها ، لا على أقدارها .

ومن طبيعة السياسة الحزبية ان تشتد معها العداوة ، وتستحكم البغضاء ، وان يتربص كل فريق بصاحبه لوثبة يهتبلها منه ، فيُدال له عليه ، القيسي من اليمني ، واليمني من القيسي ، وكان الامر بينهما دواليك . وهُزل الامر حتى بلغ ان لا يكون للوالي حكم نافذ الا على قومه ، الوالي القيسي يطيعه القيسيون ، وينحاز عنه اليمانيون ، واليماني يخضع له اليمنيون ، و يعصيه القيسيون . وزاد هذا الخلاف التياث أمر أمية بالمشرق ، وتضعضع أحوالهم ، فشغلوا عن قاصية الثغور ، بكثرة الخوارج . فبقي اهل الاندلس فوضى : فتن دائمة ، وولاية متداولة ، وحال لا تستقر من القلق . واتفق جند الاندلس آخر الامر ان يجعلوا الولاية في القيسية واليمانية مداولة بين الجندين ، سنة لكل دولة . فقدم المضرية على انفسهم سنة ١٢٩ يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، فاستتم ولايته بقرطبة . ثم وافته اليمانية ليعاد ادالتهم ، واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم ، فبيتهم يوسف في قرى قرطبة بمالأة القيسية وسائر المضرية فاستلحموهم ، وتمت الغلبة للقيسية في معظم انحاء الجزيرة ، الى ان كان من امر عبد الرحمن ما نحن ذاكروه .

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
بلج بن بشر	١٢٤	١٢٥	سنة
ثعلبة بن سلامة الجذامي ؟			سنتان
ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي	١٢٥	١٢٩	اربع سنين وتسعة اشهر (من قبل حنظلة ابن صفوان صاحب افريقية)
ثوابة بن سلامة	١٢٩		سنة (من قبل عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية)
عبد الرحمن بن كثير			(من قبل اهلها)
يوسف بن عبد الرحمن الفهري			(من قبل اهلها)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لهذا ، ولما انبعث عن ذلك من تبدل الولاة ، ظلت الولاية الأموية في الاندلس متناقلة ، غير متوارثة بين الآباء والابناء ، على ما وقع من ذلك في كثير من الولايات الأموية ، ولا سيما ما بعدت الشقة بينه وبين دار الخلافة كالاندلس .

شغلت هذه الفتن ولاة الأمو بين عن الفتح فلم تنهض بهم همة اليه ، الا ما كان من فتوح عبد العزيز بن موسى . ثم عقبة بن الحجاج السلولي الذي جاهد مظفراً حتى بلغ سكنى المسلمين في ايامه اربونة ، وصار رباطهم على نهر ردونة . والهيثم بن عبيد الكلابي غزا مقوشة فافتتحها .

والسمح بن مالك الخولاني نهض بالفتح الى جنوبي فرنسا . وعنبسة بن سحيم مات — وقيل قتل — وهو على حصار تولوثة (تولوز) . وعبد الرحمن بن عبدالله الغافقي فتح قرقشونة ، ونيم ، وغيرهما من جنوبي فرنسا ، واستولى على ارل ، وليون ، وبزانسون وانتهى الى تور . وعبد الملك بن قطن الفهري غزا البشنكش (البسكة) .

واكثر هؤلاء كان جهادهم في العدو اقرب بنتيجته الى الغزو منه الى الفتح . ومن بقي من هؤلاء الولاة لم يذكرهم غزو ولا فتح بل انشغلوا في انفسهم ، وفي عصبياتهم ، وفي المجاحشة عن كراسيهم او صحونهم على لغة السياسة اليوم — عن المضي فيما كان يريده موسى بن نصير او في بعضه .

ونحن وان لم نكن ممن يستهوينا تبسط ذلك الفتح الى أبعد مما وصل اليه ، بعد ان ضاع الفتح كله ثمرته ونواته .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

وبعد ان انتهت تلك الأقطار التي كانت تمد تلك الجزيرة الى ما انتهت اليه . غير انا كنا نود لو هذبت حواشي ذلك الفتح بتطهير مخارمه ومفازعه ، فلعل ذلك كان يكون أحفظ للملك ، وأبقى عليه ، وهو ما نشير في موضعه اليه .

موقف الاسبان : و يتسائل الانسان بعد ان صورنا له هذا العهد ، عما كان من امر الاسبان أصحاب البلاد الاصليين ، وقد رأوا هؤلاء الذين سلبوهم ملكهم منشقة كلمتهم ، منقسمين أحزاباً يقاتل بعضهم بعضاً .

لقد كان فتح الاندلس امراً خطيراً كان له دوي كبير ، فأصبح اسم العرب ملء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأسماع والأبصار ، فانصدعت من جراء ذلك قلوب الاسبان ، وصغرت نفوسهم عن مقاومة العرب اول الامر ، فلم يشجعهم هذا الخلاف الذي نجم بين العرب على منازلتهم وعهدهم بالفتح وبأس العرب قريب . وأخرى هي ان العرب كانوا في حكمهم أعدل من الاسبان، فلم يكن ينال الاسبان الذين تفيأوا ظل الحكم الاسلامي وبقوا على نصرانيتهم ، شيء من الظلم الذي كان ينالهم ايام حكم امرائهم المسيحيين ، وللعدل روعة في النفوس وجلال، حمل اولئك الاسبان الجبليين الذين اعتصموا بتلك الولايات الجبلية ان يتربصوا الى حين .

فلما كثر بين العرب الخلاف واستحكم امره ، وكان قد مضى على الفتح ردح من الزمن ، اخذ الاسبان يتحيفون أطراف الملك العربي فتغلبوا على جزء من بلاد برشلونة ثم على برشلونة . وهذا الذي استخلصوه من العرب ان لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الجزيرة ، فهو شيء كبير بنفسه . وأخرى انه فتح على العرب باباً من مطامع الأسبان يدخلون منه الى سائر انحاء الجزيرة ، فيعيدونها الى حيازتهم وهو ما قد كان .

الحضارة والعمران : شجع عبد العزيز بن موسى الهجرة الى الاندلس ، فوفد عليه الناس من الشام والعراق ومصر وغيرها ، فأقطع كل قبيلة ناحية . وازدحمت الاندلس بالعرب ، وكثر اهل الشام في قرطبة عند ابي الخطار حسام بن ضرار الكلبي الوالي اليمني ، حتى لم تحملهم دار الولاية ففرقهم في البلاد . أنزل اهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل اهل حمص اشبيلية وسماها حمص ، واهل قنسرين واهل الأردن رية ومالقة وسماها الاردن ، واهل فلسطين شدونة وهي شريش وسماها فلسطين، وأنزل اهل مصر تدمير وسماها مصر .

وانتشرت اللغة العربية في الجزيرة بانتشار العرب انفسهم فيها اولاً ، وبتغلبها على لغة البلاد بقوة الفتح ثانياً ، وأنشأ عبد العزيز بن موسى ديواناً للتوفيق بين الشريعة الاسلامية السمحة، وقوانين اهل البلاد المفتوحة وعاداتهم ، رعاية للمصالح . ووضع السمح ابن مالك الخولاني بامر عمر بن عبد العزيز نظاماً للارض ، وبني قنطرة قرطبة الشهيرة .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإمارة الأموية : مدتها مئة وسبع وسبعون سنة ، بدأت في العاشر من ذي الحجة من سنة ثماني وثلاثين بعد المئة (٧٥٦) بصقر قريش — عبد الرحمن الملقب بالداخل . وانتهت سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، في عهد عبد الرحمن الناصر . فتعاقب على هذه الامارة بعد عبد الرحمن الداخل ، ابنه هشام الرضي — فابنه الحكم بن هشام — فابنه عبد الرحمن الاوسط بن الحكم — فابنه محمد بن عبد الرحمن — فابنه المقتدر بن محمد — فأخوه عبد الله بن محمد — ثم حفيده عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله وهو ثامن الأمراء الأمويين وبه ختمت الامارة . فهو لما بلغه ان يؤنسا الخادم قتل المقتدر بالله العباسي بالمشرق ، أعلن خلافته وتسمى بامير المؤمنين وضربت السكة باسمه .

عهد الامارة : هذا العهد هو خير العهود التي عرفتها الاندلس العربية فقد كان فاتحته عبدالرحمن الداخل ، وواسطته عبد لرحمن الاوسط ، وخاتمته عبدالرحمن الناصر : ثلاثة لاتدري أيهم أفضل من صاحبيه ، فكانوا رجال أمية بالغرب غير منازعين ولا مدافعين ، بل كانوا عرانين أمية عامة في المشرق والمغرب ، ومن رجالات الدهاء والحزم والسياسة في العرب .

عبد الرحمن الداخل : لما انقرضت الدولة الأموية بالشام ، وصار الامر الى بني العباس ، تتبعوا بقايا بني أمية ، ووضعوا فيهم السيف ، وفر من نجا منهم واستخفى . وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام اذ ذاك بذات الزيتون [1] ففر منها الى

(١) لم اجد فيما عندي من الكتب ما يعرف منه موضع ذات الزيتون . وفي معجم البلدان الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها فكانت منزله الى ان مات ، فهل الزيتونة هي ذات الزيتون ؟ ان عبد الرحمن مات ابوه وهو صغير فكفله جده هشام صاحب الزيتونة ، فلعل الموضعين واحد ، فيكون عبد الرحمن قد لجأ الى موضع له سابق عهد فيه والله أعلم . او ان ذات الزيتون في جبل حوران المعروف اليوم بجبل الدروز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلسطين ، وأقام هو ومولاه بدر يتجسس الاخبار ، و يتنقل من موضع الى موضع ، الى ان دخل بلاد الاندلس . واليكم حديث خروجه من الشام ، يقصه بنفسه على مثال المذكرات السياسية اليوم . قال :

« لما أعطينا الامان ثم نكث بنا بنهر ابي فطرس ، وأبيحت دماؤنا ، اتانا الخبر ، و كنت منتبذاً من الناس فرجعت الى منزلي آيساً ، ونظرت فيما يصلحني واهلي ، وخرجت خائفاً حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ، فبينا انا ذات يوم وولدي سليمان يلعب بين يدي ، وهو يومئذ ابن اربع سنوات ، فخرج عني ثم دخل من باب البيت فزعاً باكياً فتعلق بي ، فجعلت أدفعه وهو يتعلق بي ، فخرجت لانظر ، واذا بالخوف قد نزل بالقرية ، واذا الرايات السود منحطة عليها ، واخ لي حديث السن يقول : النجاء فهذه رايات المسوّدة . فأخذت دنانير معي ، ونجوت بنفسي واخي ، وأعلمت أخواتي بمتوجهي فأمرتهن ان يلحقنني مولاي بدراً .

وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي اثراً ، فأتيت رجلاً من معارفي ، وأمرته فاشترى لي دواب وما يصلحني ، فدلّ عليّ عبدله العاملَ فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هراباً والخيل تبصرنا ، فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل الى الفرات فسبحنا ، فأما انا فنجوت والخيل ينادوننا بالامان ولا أرجع ، واما اخي فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم بالامان واخذوه فقتلوه ، وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة . فاحتملت فيه ثكلاً ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة أشبة ، حتى انقطع الطلب عني وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقية » .

ثم ان اختــه ام الاصبغ الحقته بدرا مولاه ومعه نفقة له وجوهر ، فلما علم به عامل افريقية وهو يومئذ عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة الفهري ، لج في طلبه ، واشتد عليه ، فهرب منه فأتى مكناسة — وهم قبيل من البربر — فلقي عندهم شدة يطول ذكرها ، ثم هرب من عنــدهم فأتى نفزاوة — وهم اخواله — وبدر معه . قيل وخاص عبد الرحمن الى المغرب يحاول فيه ملكاً فلما أعياه الامر ورأى شدة عامله عبد الرحمن بن حبيب ، وما كان من فتكه بالعاص وعبد المؤمن ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، رأى الاندلس أوسع لعمله ميداناً ، وأضمن منالاً ، لبعد الشقة مابينها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبين بغداد : دار الخلافة العباسية ، ولما بين اهلها من تنافس وشقاق . فرمى بهمته اليها .

وجه عبد الرحمن مولاه بدرا الى من في الاندلس من موالي المروانيين واتباعهم يدعوهم الى نفسه ، فاجتمع بهم ، وبثوا له في الاندلس دعوة ، ونشروا له ذكراً ، ووجهوا اليه مركباً مع وفد منهم وابلغوه طاعتهم له ، ورجعوا به الى الاندلس .

جاز صقر قريش — وهو اللقب الذي أطلقه عليه عدوه وابن عمه المنصور العباسي — البحر الى الاندلس . وما لبث ان سار الى قرطبة فاتخذها له عاصمة ، وجعل يقاتل من نازعه ، ويقضي على من خالفه ، وبعد قتال شديد ، وفتن متطاولة ، تمت له الغلبة على جميع من ناواه : من عرب وإسبان ، وظهر على جيشي المغرب والفرنجة اللذين قاتلاه نصرة للعباسيين ، او بحجة النصرة لهم .

وناجته نفسه حيناً من الزمن بالزحف على بغداد ، وانتزاع الخلافة من العباسيين ، كما انتزعوها من قومه ، وهمّ بذلك لولا ان شغله الاسبان ، والفرنجة ، والخارجون عليه ، يمدهم العباسيون بالمال والرجال .

والذي ساعد عبد الرحمن على امره ، وأعانه على ما كان فيه من خلق الرئاسة الموروثة ، وأسبابها المكتسبة عوامل اربعة :

الاول : ما أنفذته اليه اخته من المال .

الثاني : اتباع الأمويين ومواليهم ، الذين كان يؤلمهم ان يذهب الملك من أصحابهم بني أمية ، لهوى لهم معهم ، او لعصبية كانت لهم فيهم .

الثالث : اليمانية المغاضبة التي تغلبت عليها القيسية فسلبتها حقها من الولاية ووترتها وتراً مضاضا .

الرابع : استعانته بالموالي والبربر الناقمين لاستئثار العرب دونهم بالحكم والرئاسة .

جمع عبدالرحمن هذه القوى اليه ، بدهائه ومضاء عزمه ، حتى تم امره ، وانقادت اليه الاندلس قاصيها ودانيها ، على شرتها وعرامها . وليس من شيء يدلك على اناة الرجل وسعة حيلته ، وصبره على ما يكره ، مثل ان يدعو للعباسيين على منابر بلاد غلب ولاتهم عليها ، بعد حروب حمي وطيسها ، وبعد ان كان من أفاعيل العباسيين بقومه مايضيق عنه حلم الحليم . لم يقطع لبني العباس خطبة الا بعد ان تم له الاستقلال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولي عبدالرحمن الحكم ٣٢ سنة وكان فصيحاً لسناً ، عالماً شاعراً، حليماً حازماً، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد الى راحة ، ولا يسكن الى دعة ، ولا يكل الامور الى غيره . شجاعاً مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحذر ، سخياً جواداً .

ومن شعره وقد نظر الى نخلة منفردة بالرصافة وقيل انه هو زارعها فقال :

تبدت لنا وسط الرُصافة نخلة ... تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بنيّ وعن اهلي
نشأت بارض انت فيها غريبة ... فمثلك في الاقصاء والمتنأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي ... يسح و يستمري السماكين بالوبل

ومن قومه يتشوق الى معاهده بالشام :

ايها الراكب الميمم ارضي ... أقر من بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بارض ... وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمض
قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وخلف عبد الرحمن ابنه هشام بعهد منه اليه ، وكان هشام ذا رأي وشجاعة عادلاً ممدوحاً يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز — و يبث عيونه يتسقطون له شكاوى الناس ومظالمهم فيُشكيهم ، غير ان اخويه سليمان وعبد الله شاقاه وخرجا عليه فقاتلهما حتى تغلب عليهما .

وشق عليه عصا الطاعة غيرهما ، منهم سعيد بن حسين الانصاري بطرطوشة ، ومطروح بن سليمان بن قيظان ببرشلونة ، وغيرهما في غيرهما ، فغلبهم كلهم . وجاء بعد هشام ابنه الحكم سنة ١٨٠ فكانت مدة ولايته ستاً وعشرين سنة تعاظمت فيه الفتن وقام عليه ايضاً عماه ، سليمان وعبد الله ، صاحبا الفتنة ايام ابيه ، واستنصر عبد الله شارلمان ملك الفرنجة فكان اليه سريعاً . وهو الذي كان لا بني يعمل على ايقاد النار في بلاد المسلمين . وانتهى الامر بان تغلب الحكم على معظم المصاعب التي واجهته ، اوقع باهل قرطبة ، و باهل طليطلة ، و باهل ماردة ، ورد غارات الفرنجة عن بلاده ، واعتدى عليهم باشد مما اعتدوا عليه ، وفتك بهم فتك عزيز مقتدر . فعاد الامن الى نصابه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأحاديثه بالفتك وسفك الدماء طويلة مستفيضة . ومما يدل على نجدته وبطشه ، انه لما كثرت عليه الفتن الداخلية ، واشتغل بعصيان اهل ماردة ، طمع الفرنج في ثغور المسلمين فقصدوها بالغارة والقتل والنهب والسبي . فأتاه الخبر بشدة وطأتهم . وقيل ان العباس الشاعر كان قد مرّ بوادي الحجارة فسمع امرأة تقول : وا غوثاه بك يا حكم ! لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا ، فأيمنا رأيتمنا . فسألها عن شأنها فقالت : كنت مقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت . فنظم العباس قصيدة يعرّض فيها بذلك وأنشدها الحكم وأخبره بامر المرأة . فجهز الجيوش وخرج غازياً ، وقصد الناحية التي أقبلت منها تلك الخيل ، واتى بالأسرى فذبحهم بحضرة تلك المرأة وأهل بلدها . وقال للعباس قل لها : هل أغاثها الحكم ؟ فقالت لقد شفى الصدور ، ونكّى العدو ، وأغاث الملهوف . فأغاثه الله ، واعز نصره . فارتاح لقولها وبدا السرور في وجهه وأنشد :

ألم تر يا عباس اني أجبتها على البعد أقتاد الخميس المظفرا
فأدركت اوطاراً و بردت غُلة ونفست مكروباً واغنيت معسرا

وعلى الجملة فقد كان عهد الحكم عهد فتن متصلة، وفي ايامه كانت وقعة الربض فنسب اليها، ووقعة الحفرة . وكان على صرامته وبطشه مستهتراً يميل الى اللهو والصيد ، ويؤثر مجالس المغنين والشعراء ، على مجالس العلماء والفقهاء ، وهو اول من استكثر من المماليك بالاندلس وأظهر فخامة الملك وأسرف في تأييد هيبته . ارتبط الخيل على شاطيء النهر قبلي قصره ، التي فرس . وبلغت مماليكه خمسة آلاف، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم . وتشبه بالجبابرة ، وكان يباشر الامور بنفسه ، فأنكر عليه الفقهاء استهتاره واهاجوا العامة عليه، فشدد هو عليهم ، منعهم ان يداخلوه في اموره ، ونكبهم وأجلى جمهوراً منهم عن الجزيرة .

وكان الحكم مع هذا عادلاً جواداً، فصيحاً شاعراً، يقرب اهل الفضل، ويؤاسي اهل الحاجات ، ويشبّه بابي منصور في شدة الملك ، وتوطيد الدولة وقمع الاعداء .

ثم ولي الامر عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠٦ فكانت مدته ثلاثين سنة . ولم تكن ولايته أقل اضطراباً وفتناً من ولاية ابيه الحكم . وكان هو لا يقل عنه بأساً وسطوة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صرف همه لاخماد الفتن داخل بلاده ، ورد غزوات الافرنج ، فكان منصوراً في اكثر الحروب التي كانت بينه وبين العرب ، وعماله ، والاسبان ، والافرنسيس ، والنرمنديين المعروفة غزواتهم عند العرب بغزوات المجوس . فتغلب على اعدائه كافة بعد جهد جاهد وقتال متطاول .

وكان عبدالرحمن أديباً شاعراً عالماً بالشريعة، وغيرها من علوم الفلاسفة . وكثرت عنده الأموال فصرفها في العمارة .

واخذت الامور بعد عبد الرحمن بالضعف ، فاضطرب الأمن ، ونجمت قرون الفتن في ثغور الاندلس ، واشتعلت الثورات في جوانبها ، حتى كادت تعمها فتلتهمها بجماتها، لولا ان قيض الله لهذه الجزيرة عبدالرحمن الناصر، ففقأ عين الثورة ، ونظم عقد الدولة ، وأعاد الجزيرة سيرتها الاولى ، ايام جديه : وسميّيه عبد الرحمن الاوسط ، وعبد الرحمن الداخل .

موقف الاسبان : قوّت هذه الفتن من عزائم الاسبان ، وزاد في الامر نصرة الافرنج لهم ، واستنصار بعض الامراء بهم. فكثر اعتداؤهم على الاندلس العربية ، وعملوا على التدخل في سياستها الداخلية ، ينصرون الأمير الأموي على اخيه الأموي، والعامل على اميره . وعلى الجملة فقد كانت نصرتهم للثورة على السلم ، وللفوضى على النظام .

فاسترجعوا من جراء ذلك قسماً كبيراً من ولاية قطالونية .

الحضارة والعمران : لم يصرف عبد الرحمن ما عاناه من الفتن والحروب ، وتأسيس الملك ، عن اعمال الحضارة والعمران . فلقد أنشأ المدارس ، ودور الكتب ، شحنها بالمؤلفات النفيسة . وبنى الحدائق الغناء ، منها الرصافة تشبهاً بجده هشام الذي بنى الرُصافة بالشام . وبنى مسجد قرطبة الاعظم « وكان معبداً للفيزقوط ملكه المسيحيون واخذ المسلمون نصفه . ولما شرع عبد الرحمن في بنائه ابتاع النصف الآخر[1] » فعاجله الموت عن إتمامه .

وأطلق الحرية للنصارى بدينهم ، وكتب لهم عهداً بذلك ..

(١) غرائب الغرب للاستاذ محمد كرد علي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واما هشام بن عبد الرحمن فقد أتم مسجد قرطبة الذي شرع فيه ابوه ، وبنى عدة مساجد غيره ، وجدّد قنطرة قرطبة التي كان عقدها السمح الخولاني .

وجند الحكم الأجناد ، وجمع الاسلحة ، واستكثر من الحشم والحواشي .

واما عبد الرحمن الأوسط فقد كان عصره عصراً زاهياً زاهراً بالحضارة والعلم ، وبكل فن من فنون الأدب . وأحدث أشياء لم يكن للبلاد سابق عهد بها . شاد القصور الفخمة والمتنزهات ، وجاء اليها بالماء العذب من الجبال ، وبنى المدارس والجوامع الكثيرة ، ومهد الطرق ، ونظم الشوارع ، وأقام بها الجسور ، وجمع اليه ذوي الشهرة من شعراء العرب وذوي الفضل منهم .

واليه وفد زرآب المغني معلم ابراهيم الموصلي فأورث صناعة الغناء بالاندلس .

ويعترف الاروبيون انه لم يكن في زمانه دار ملكٍ كدار ملكه أبهةً ومجداً [1] .

عارف النكدي

(١) دائرة المعارف العربية للبستاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net